من يوميات البير كامو

ترجمة ماهر بطوطي

(مايو ١٩٣٥ ـ سبتمبر ١٩٣٧)

ترجمة : ماهر البطوطي

بدأ «البير كامو» في تسطير يومياته الادبية* في مايو ١٩٣٥، حين كان في الثانية والعشرين من عمره ، واستمر في العمل فيها الى ان توفي عام ١٩٦٠ . وقد درج كامو على كتابة يومياته في عدد من الكراسات المدرسية العادية ، ولم يكن يقصد لها ان تنشر في يوم من الايام . ورغم ذلك فقد اعد عام ١٩٥٤ نسخة مكتوبة على الالة الكاتبة من الكراسات السبع الاولى من يومياته ، ونقحها بغرض نشرها في النهاية . وقد نشرت الطبعة الكاملة للكراسات الاولى الثلاث في باريس في عام ١٩٦٢ ، تحت اسم Cahiers وتحتوي على اليوميات من عام١٩٣٥ الى عام ١٩٤٢ ، وهي التي نقتطف منها الان قسما مختارا من المقطوعات التي سطرها كامو في الفترة بين مايو ١٩٣٥ وسبتمبر ١٩٣٧،على ان نتلوها بعد ذلك بمقتطفات اخرى للفترة من ١٩٣٧ الى ١٩٤٢ .

واذا كانت هذه اليوميات لا تخبرنا الكثير عن افعال كامو واحداث حياته ، الا انها مليئة بالمعلومات عن الاحساسات التي كان يشعر بها تجاه الاشياء . ومع انها كذلك لا تختص بتفاصيل كثيرة عن الظروف التي تواتر فيها على كثير من الوظائف لكسب عيشه ، او عن المصاعب الشخصية والعاطفية الاخرى التي صادفته ، الا ان الامانة التي يذكر بها شعوره الكئيب تجاه العمل ، والنغمة التي يضرب بها على موضوع العزلة تجعلنا نكون فكرة واضحة عن الطراز الذي كان عليه كامو انذاك.

ويمكن تقسيم موضوعات اليوميات في الفترة الاولى من حياة كامو الى ثلاثة اقسام : ١ ـ ويشمل الافكار الفلسفية والشذرات الوصفية التي كان يدونها كامو اثناء رحلات قام بها ، ونتف من احاديث سمعها في عمله او في منزله . وقد استخدم كامو كثيرا من هذه الافكار والاحاديث في بعض اعماله الادبية . وكثيرا ما تضمنت اليوميات فقرات كاملة لم يجر عليها تعديل كبير حين ظهرت بعد ذلك في رواياته ومقالاته المنشورة . ٢ ـ ويشمل تعليقات على الكتب التي قرأها كامو في الفترة التي كان يسجل فيها هذه اليوميات . ويتضح من هذا القسم ان هذه اليوميات لم تكن سجلا « لكل » ما دار بخاطر كامو او كل ما قرأه ، بل انه انتقى من هذه الخواطر ومن هذه القراءات تلك التي كان يعتقد انها مفيدة بالنسبة له شخصيا . ويستطيع القارىء ان يتبين الملامح الاساسية لكتابيه : « الغريب » و « اسطورة سيزيف » بين سطور هذه اليوميات. وكذلك برزت فيها موضوعاته الاثيرة كنهائية الموت وقيمة الحياة الجسمانية، والصفاء الفكري ، ورفض اية معتقدات دينية . ٣ ـ ويشمل الجمل والموضوعات التي لم تظهر بعد ذلك في اعمال كامو . وهي تثير الاهتمام كدلالة على الافكار التي كانت تشغله في تلك الاوقات ثم اهملها بعد ذلك.

١٣ فبراير ١٩٣٦

انني اطلب من الناس اكثر مما يستطيعون تقديمه لي . من العبث انكار ذلك . ولكن ... يا له من خطأ ، ويا له من يأس.وربما انني ...

ابحث عن الاتصالات ، جميع انواع الاتصالات . اذا انا اردت ان اكتب عن الناس، هل يجب ان آكف عن الحديث عن الريف؟ اذا اجتذبتني السماء او الاضواء ، هل سانسى عيون من احب واصواتهم ؟ في كل مرة اصادف مجرد عناصر الصداقة ، شذرات العاطفة ، وليست الصداقة او العاطفة ذاتها .

يحدث ان تذهب الى صديق قديم لتقص عليه كل شيء ، او على الاقل ، شيئا يثقل عليك . غير انه في عجلة من امره ، وانت تتحدث عن كل شيء وعن لا شيء على الاطلاق . لقد فات وقت الحديث ، وها انا اشد وحدة واشد وحشة عما كنت قبلا . لشد ما تفوض كلمة عابرة من صديق يتهرب من وجودي معه من هذه الحكمة الواهية التي احاول ان اشيدها : « لا يعرف الضحك من لم يعرف البكاء . » والشكوك حول نفسي وحول الناس الاخرين .

مـارس

يوم مشمس وملبد ، وشي البرد فيه اصفرارا ذهبيا يجب ان اكتب يوميات خاصة بالطقس في كل يوم . شمس امس الصافية الشفافة . الخليج يرتعش بالاضواء كالشفة الرضيبة . وقد عملت طوال النهار .

عنوان مقال : امل العالم .

جرنييه ، حول الشيوعية : « تنحصر المسألة كلها في هذا : هل يجب على المرء ، في بحثه عن مثال للعدالة ان يقبل الافكار الخرقاء ؟ يمكن لنا ان نجيب ببلى ، ان هذا شيء طيب . او : كلا ، من الكرامة ان نرفض ذلك . » ومع شيء من النسبية ، يمكن للمرء ان يرى نفس هذه المشكلة في المسيحية في الامثلة التالية : ايجب على المؤمن ان يذعن لمتناقضات الكتاب المقدس وتجاوزات الكنيسة ؟ او : هل يتضمن الايمان بالمسيحية قبول قصة سفينة نوح والدفاع عن محاكم التفتيش ؟ او عن

---

* من الجدير بالذكر ان الطبعة الاصلية لليوميات وان التزمت بالتسلسل الشهري لليوميات الا انها لم تلتزم بعد ذلك بالتسلسل الزمني للشهور داخل نطاق العام الذي تبدأ به ، فهي تبدأ يوميات ١٩٣٦ بشهر فبراير فمارس فمايو ، ثم تعود مرة اخرى الى مارس وابريل من نفس ذلك العام ... وهكذا . وقد آثرت الابقاء على هذا الترتيب في الاجزاء التي اخترتها من هذه اليوميات .

المحكمة التي ادانت جاليليو ؟

غير انه اذا نظرنا الى الناحية الاخرى ، لتساءلنا : كيف يمكن لنا ان نؤلف بين الشيوعية وشعورنا بالتقزز ؟ ان انا آمنت باشكال العمل المتطرفة ، بالمعنى الذي يؤدي بها الى العبثية وعدم الجدوى ، اذن فانا ارفض الشيوعية . ثم هناك هذا الاهتمام بالموضوعات الدينية ...

ان الموت هو الذي يضفي على المغامرة والبطولة معناهما الحقيقي.

امس .. الشمس على المرفأ ، اللاعبون العرب ، والميناء يقفز من فرط الضوء . يبدو الامر كما لو كانت البلدة تقدم لي كل ثرواتها في هـذا الشتاء الاخير الذي اقضيه فيها . هذا الشتاء الفريد ، يلتمع بالبرد وضوء الشمس . البرد الازرق .

النشوة الهادئة ، والعدم الباسم . اليأس الذي نراه في التسليم الرجولي المتمثل في الطراز اليوناني . لماذا احتاج الى ان اكتب او الى ان اخلق ، الى ان احب او اعاني ؟ ان الطور الذي مضى الان من حياتي ليس اساسا الطور الاكثر اهمية . كل شيء يصبح غير ذي هدف .

تحت هذه السماء ، والحرارة الخانقة المضيئة تنصب منها ، لا يجد اليأس ولا السرور ما يبررهما .

١٦ مايو

تجوالة طويلة . التلال ووراءها البحر . والشمس الهادئة . وزهور الاجلانتين البيضاء تزين فروع الاشجار جميعا . الزهور الثقيلة الشرابية ذات الاوراق الحادة الالوان . وهناك يضا العودة الى المنزل ، ورقة النساء وودهن . الوجوه الرزينة الباسمة للنساء الصغيرات . البسمات والنكات والخطط . وينزل المرء ثانية الى ميدان اللعبة . ويبتسم الجميع للمظاهر ويتظاهرون بقبولها رغم انهم لا يؤمنون بها . لا ملاحظات زائفة . انني ارتبط بالدنيا بكل ما افعل من اشياء ، ومرتبط بالناس بالعرفان بالجميل الذي اشعر به .

ومن قمة التل ، نستطيع ان نرى الغمام الذي خلفته الامطار الاخيرة وقد اثقلت عليه الشمس واعادته الى الوجود . وحين طوفت خـلال الغابات ، وخضت في الوبر القطني ، احسست بالشمس فوقي ورأيت الاشجار تترى واحدة بعد الاخرى في هذا النهار الرائع المعجز . الثقة والصداقة ، الشمس والمنازل البيضاء ، ظلال المعنى التي لا يكـاد المـرء يمسك بها . اه ... ان لحظات السعادة التي لم امسسها تمضي بعيدا عني الان ، ولا تقدم لي من عون في كآبة المساء سوى ابتسامة امـرأة فتية ، او لمحة تفهم من صداقة مشتركة .

ان كان الزمن يبدو وكأنما يمضي سريعا ، فان سبب ذلك عـدم وجود علامات للطريق . كالقمر حين يكون في اقصى ارتفاعه او عنـد الافق . ان سنوات شبابنا طويلة جدا لانها مزدحمة بالحادثات ، وسنوات كهولتنا قصيرة جدا لان كل فترة فيها محددة . فمن الملاحظ ، على سبيل المثال ، ان مراقبة احدى الايدي وهي تدير الساعة مدة خمس دقائـق يبعث اشد احساسات الضيق والضجر حتى انه من المستحيل اداء تلك العملية .

مارس

لقد حللت المشكلة الاجتماعية الان ، ووجدت توازني مرة اخرى . في بحر عشرين يوما سوف احدد موقفي . افكر في كتابي طول الوقت. ابتداء من يوم الاحد وما يتلوه من ايام ، سأبدأ فورا في تنظيم عملي ..

يجب ان ابدأ في البناء ثانية بعد فترة الشجن واليأس هذه . اخيرا ... الشمس وجسدي النابض . الزم الصمت ـ وثق في نفسك.

مـايو

يجب الا يعزل المرء نفسه عن العالم ، فلا يوجد من يحيا بين نور الشمس ثم يفشل في حياته . مجهودي كله يجب ان ينصب على اقامة الصلات مرة اخرى ، سواء كان نتيجة ذلك خيبة او ازاحة للوهم. ولكن ... حتى وسط هذا الحزن اشعر بطفرة من المسرة ورغبة عظيمة في الحب ، عند مرأى التل تحت سماء المساء .

اقامة الصلات مع الحقيقة ، ومع الطبيعة بادىء الامر ، ثم مع الفن الذي انتجه اولئك الفاهمون للحقيقة ، ومع فني انا اذا كنت مستطيعا ذلك . والا فسيكون امامي البحر ونور الشمس والمسرة ، وشفاه الرغبة الرضيبة .

اليأس الباسم ، لا حل هناك . غير انني ما زلت امارس دومـا السيطرة على نفسي ، واعلم جيدا عدم جدوى ذلك . اكثر الاشياء اهمية هو عدم فقدان النفس ، وعدم فقدان ذلك الجزء من النفس الذي يظل نائما لدى الناس .

مايـو

جميع الاتصالات ـ هل يعني ذلك اتباع « عقيدة النفس » ؟ كلا .

ان عقيدة النفس تفترض مسبقا الاخذ بالتفاؤل او بموقف الولوع بالفنون تجاه الحياة ، وكلاهما هراء . لا تختر حياة ، ولكن وسع مـن حدود حياتك ذاتها .

انتبه : عند كيركجارد ، يكمن مصدر شقائنا في المقارنات .

التزم كلية ، ثم اظهر قوة متكافئة في قبول كل من الايجاب والنفي.

مايـو

الحياة هي القوة العظمى ... هذا حق . ولكنها بداية لكل انواع الجبن . يجب ان نقيم معنى للتفكير بعكس ذلك .

والان ... يبدأون في الصياح بانني لا اخلاقي . هذا الصيـاح يجب ترجمته بانني في حاجة الى اضفاء اخلاقية ما على نفسي . اعترف بذلك اذن ايها الاحمق . اني اعترف .

طريقة اخرى للنظر الى المسألة : لا بد ان تكون بسيطا ، صادقا ، لا تبحث عن الاتهامات الادبية ، تقبل نفسك والتزم . ولكننا لا نقوم باي شيء اخر .

اذا كنت مقتنعا بيأسك ، فاما ان تتصرف كانما تسعى وراء الامل، او تقتل نفسك . والمعاناة لا تعطي اي حقوق بالمرة .

مفكر ... ؟ بلى . ولا تنكر ذلك مطلقا . المفكر امرؤ يقوم عقلـه بحراسة نفسه . انني احب ذلك ، لانني اسعد بان اكون كلا الشطرين : الحارس والمحروس . « وهل يمكن التوفيق بينهما ؟ » هذا سؤال عملي، ينبغي ان نصل الى اعماقه . ان المعنى الحقيقي لجملة مثل : « انـا احتقر الذكاء » هو « انا لا استطيع ان اتحمل شكوكي » .

انني افضل ان اظل متيقظ العينين .

يناير ١٩٣٦

كاليجولا ، او معنى الموت ـ ٤ فصول .

١ ـ أ : ارتقاؤه العـرش . المسرة . خطـب فاضلـة (قـارن « سوثيونيوس ») .

ب : المـرآة .

٢ ـ أ : اخواته ، و « دروسيلا » .

ب : احتقار العظماء .

ج : موت دروسيلا . فرار كاليجولا .

٣ ـ النهاية : يتقدم كاليجولا ، مسدلا الستار .

« كلا ، لم يمت كاليجولا . انه هنا ، وهناك ، كامنا في كل واحد منكم . ان انتم منحتم السلطان ، وان وهبتم الشجاعة ، وان احببتـم الحياة ، سترون هذا الوحش او هذا الملاك الذي تحملونه في داخلكـم ينطلق حرا . ان القرن العشرين يحتضر لانه يؤمن بقيم مسلم بها ، لانه انني عائد الى التاريخ ، حيث اسرني طويلا اولئك الذيـن يخشون ان يؤمن بامكان جعل العالم اكثر جمالا ويتوقف عن ان يكون عبثيا . وداعا . يمنحوا حبهم اكثر من اللازم .

ابريل

النساء ، الذين يفضلون افكارهم على احساساتهم .

موضوعات لمقالي عن الخرائب :

الريح العاصفة ـ والشيخ عار كزيتونة في الصحراء الغربية .

١) مقال عن الخرائب . العقل وسط الخرائب ، او الموت تحـت الشمس .

٢) ارجع ثانية الى « الحزن العميق » ـ منبئة .

٣) المنزل امام الدنيا .

٤) الرواية : واصل العمل فيها .
٥) مقال عن « مالرو » .
٦) الرسالة .

في بلدة اجنبية ، تغمر الشمس المنازل على التل بنورها الذهبي. تبعث انفعالا اشد تركيزاً من ذلك الذي يبعثه منظر مماثل في البلدةالتي يعيش المرء فيهـا . ليست نفس الشمس ، انني اعلـم تماما انها ليست نفس الشمس .

في المساء ، رقة الدنيا على الخليج . هناك ايام تكذب فيها الدنيا وايام اخرى تصدق فيها . انها تصدق هذا المساء بالجمال الجزينالملح.

مايو

مشروع مقدمة لكتاب « الظهر والوجه » .

ستبدو هذه المقالات في حالتها الراهنة مفككة دون شكل . وهذا لا ينبع من عدم اهتمام متناسب بالشكل ، ولكن ـ ببساطة ـ من نضج لم يتم بعد . اما هؤلاء القراء الذين يأخذون هذه الصفحات على انهـا مقالات بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، فليس عليهم الا ان يتبعوا التسلسل العام للافكار التي تعبر عنها ، وعندئذ قد يشعرون بحركة غامضة تضفي عليها وحدة ما ، بين الصفحة الاولى والاخيرة . ويشدني الاغراء الـى ان اقول ان هذه الحركة المذكورة تبرر وجود هذه المقالات ، هذا اذا لم اكن اعتبر محاولات التبرير عامة عديمة الجدوى ، واذا لـم اكن اعلم ان الناس دائما ما يفضلون فكرتهم الخاصة عن شخص ما على حقيقة هذا الشخص في الواقع .

الكتابة هي ان تصبح غير منحاز . هناك شيء من الاقصاء في الفن. نقع ما كتبت ، فهذا مجهود نافع دائما مهما كان الامر . وهؤلاء الذيـن لا يصادفون النجاح يفشلون بسبب كسلهم .

لوثر : الايمان الراسخ بالابراء اهم الف مرة من مجرد استحقاق هذا الابراء ، فالايمان يجعل المرء مستحقا ، ويكون رضاء حقيقيا .

(من موعظة القيت في ليبزج عام ١٥١٩ حول « التبرير » .)

يونيو

يزور القس الرجل المحكوم عليه بالاعدام كل يوم : لان الرقبةتقطع كالشريحة ، لان الركبتين تنهاران ، ويقذف الجسد بنفسه في جنـون ناحية الارض ليخفي نفسه في صيحة « الهي ... الهي » .

وفي كل مرة ، تبرز المقاومة التي يبديها الرجل الذي لا يريد هذا الحل السهل ، والذي يريد ان يمضغ خوفه كله ويذوقه . يموت دون كلمة واحدة ، وعيناه ممتلئتان بالدمع .

الفلسفات تستحق الفلاسفة الذين يصنعونها . وكلما كان المـرء عظيما ، كانت فلسفته اكثر صدقا .

الحضارة ازاء الثقافة :

الاستعمار حضارة خالصة . قارن « سيسل رودس » ، « التوسع هو كل شيء » ـ الحضارات مثل الجزر الصغيرة ، الحضارة مثلالنهاية الحتمية لثقافة ما . (قارن سبنجلر) .

الثقافة : صيحة رجال في مواجهة مصيرهم .

الحضارة ، وانحلالها ... رغبة الانسان في الثراء . العمى.حول نظرية سياسية عن البحر المتوسط .

« ما اتحدث عنه اعرفه » .

١ ـ المبادىء الاولى للاقتصاد (الماركسية) .

٢ ـ المبادىء الاولى للروحية (الامبراطورية الرومانية المقدسة).

الصراع المأساوي للعالم في معاناته . لاغائية مشكلة الوجود.نحن نهتم بمصيرنا ، هذا معترف به ، ولكن « قبل » وقوعه وليس بعد ذلك.

قدرة الجحيم على المواساة :

١ ـ في المقام الاول ، ليس للمعاناة اللانهائية اي معنى لدينا . ولحظات الارجاء هي من تخيلاتنا .

٢ ـ لا يمكننا الشعور بما تعنيه كلمة : « ابدية » ، ولا نستطيع ان نخلع عليها اية قيمة ، اللهم الاحين نتحدث عن « لحظة ابدية » .

٣ ـ في الجحيم ، نظل احياء بهذا الجسد . وهذا افضـل مـن الافناء الكلي .

قاعدة منطقية : للتفرد قيمة عالمية .

قاعدة غير منطقية : كل ما هو مأساوي فهو متناقض .

قاعدة عملية : رجل ذكي على مستوى من المستويات يمكن ان يكون ابله على مستويات اخرى .

الوصول الى العمق عن طريق عدم الاخلاص .

يوليو

الريف بالقرب من بلدة « لامادلين » . الجمال الذي ينمي فينـا تذوقا للمسغبة . أشعر بنفسي قصيا عن تلك الحمى التي تنتابني.اكاد لا استطيع المباهاة باي شيء سوى الحب الذي اشعر به . ابقاء الذات على مبعدة . يجب ان اعبر عما يملأ فؤادي ، وان اعبر عنه بسرعة .

« عدم التوافق » رواية حقة . رجل يدافع عن عقيدة طوال حياته، وتموت امه فيترك كل شيء . غير ان حقيقة عقيدته لم تتغير في الواقع، وكل ما هناك انها لم تعد تتوافق .

القارب الطائر : امجاد المعادن وهي تلمع فيالخليج ووراءها السماء الزرقاء .

اشجار الصنوبر ، بلقحها الاصفر واوراقها الخضراء .

المسيحية ، مثل « اندريه جيد » ، تطلب من الانسان انيكبحرغباته، ولكن « جيد » يجد مسرة زائدة في هذا الفعل ، في حين ان المسيحية تنظر اليه على انه قمع لشهوات الجسد . ومن وجهة النظر هذه،تعتبر المسيحية اكثر « طبيعية » من « جيد » المفكر . غير انها ليستطبيعية مثل الناس العاديين الذين يطفئون نيران عطشهم على ضفاف الينابيع ويعلمون ان هدف الرغبة وغايتها هي امتلاك ما فيه الكفاية واكثر ممـا فيه الكفاية . (اكتب مقالة : « اعتذار عن التخمة ») .

براغ : والهروب من الذات .

ـ اريد غرفة .

ـ على الرحب والسعة . لليلة واحدة ،

ـ كلا . لست ادري .

ـ لدينا غرف بثمانية عشر كرونا ، وخمسة وعشرين كرونا وثلاثين كرونا .

(لا جواب)

ـ اي الغرف تفضل يا سيدي ؟

ـ اية واحدة . لا يهم ذلك . (ينظر الى الخارج) .

ـ يا حمال ... خذ حقائب السيد الى الغرفة رقم ١٢ .

ـ (يتنبه) كم اجر هذه الغرفة ؟

ـ ثلاثون كرونا .

ـ انها غالية جدا . اريد غرفة بثمانية عشر كرونا .

ـ يا حمال ... غرفة رقم ٣٤ .

١) في القطار الذي يحمله الى « ... » ينظر « س » الى يديه .

٢) الرجل الذي ما يزال هناك . غير انها مجرد مصادفة .

ليون : منطقتي « ثور البرج » و « هال » .

كوبشتين : الكنيسة الصغيرة ، وعلى طول طريق الفندق . والحقول تحت الامطار . والوحدة تلقي مرساتها في عمق .

سالزبورج : « ايلدرمان » . مقبرة « سان بيتر » . حديقة الرخام وفوزها الثمين . المطر . نبات الفلكس . البحيرة والجبال . السير على الهضبة .

لينز : الدانوب وضواحي الطبقات العاملة . الطبيب .

بوتفيس : الضاحية . الدير القوطي الصغير . الوحدة .

براغ : الايام الاربعة الاولى . الدير المشيد على النظام «الباروكي». المقبرة اليهودية . الكنائس « الباروكية » . الوصول الى المطعم. الجوع. لا نقود . الرجل الميت . خيار مخلل . الرجل ذو الذراع الواحـدة جالس الى « اكورديونه » .

دردسن : اللوحات .

بوتزن : المقبرة القوطية . زهور الجيرانيوم وعباد الشمس علـى

القناطر المكسوة بالقرميد .

برسلو : شآبيب المطر . الكنائس ومداخن المصانع . طرازهـــا الخاص جدا في الشعور المأسوي .

وديان سيلسيا : القسوة والفظاظة ـ كثبان رملية ـ فرار الطيور من على الارض اللزجة في نور الصباح الكثيف .

اولنز : سهول مورافيا الرقيقة بطيئة الحركة . النخيل المـــر والانفعالات التي تثيرها المناظر القصية .

برنو : الاحياء الفقيرة .

فينا : الحضارة ـ الحدائق الدفاعيه والبذخ المتراكم . الغنـــى الداخلي يختفي في هذه الثنايا الحريرية .

ايطاليا : الكنائس ـ شعور خاص يرتبط بها : قارن « اندريا دل سارتو » . ـ الرسم : عالم جدي منظم . الثقة ... الخ.

ملاحظة : الرسم الايطالي واضمحلاله .

المفكر والانتماء (مقطوعة) .

يوليو

يمكن للمرء في حالة من انكار الذات الطوعية ان يظل دون طعـام مدة ستة اسابيع (والاكتفاء بالماء) اما حين تحرمنا المجاعة من الطعام ، فعشرة ايام على الاكثر .

مستودع الطاقة الحقيقية .

عادات التنفس عند اليوجيين في التبت . ما يجب أن نفعل هو تطبيق مناهجنا في الدراسة العلمية على تجارب من هذه الرتبة . يجب ان نمارس « كشف الحجب » عن ذلك الذي لا نؤمن به . ما احب فعلا ان افعله هو ان ابقى هادئا في نشوة .

النساء في الطريق . وحش الرغبة الدافيء الذي يرقد مستكنا في اجسادنا ويمط نفسه في رقة وحشية .

اغسطس

رقة باريس وانفعالها . القطط ، الاطفال ، سلوك الناس الحـــر المريح . الالوان الرمادية ، السماء ، حشد عظيم من الاحجار والمياه .

اغسطس ١٩٣٧

إنسان يبحث عن الحياة حيث يجدها معظم الناس (الزواج،العمل، ... الخ.) ثم يلاحظ فجاة بينما هو يقرأ في احد كتالوجات الازيـاء كم كان غريبا عن حياته ذاتها (الحياة كما تعرضها كتالوجات الازياء).

القسم الاول : حياته حتى هذه اللحظة .

القسم الثني : الحياة كاللعبة .

القسم الثالث : رفض الحل الوسط ، واكتشاف الحقيقة فـي الطبيعة .

اغسطس ١٩٣٧

خطة من ٣ اقسام :

القسم الاول :

أ ـ في الحاضر .

ب ـ في الماضي .

الفصل الاول : ١ ـ يوم مسيو « ميرسو » كما يرى من الخارج.

الفصل الثاني : ـ الحي الفقير في باريس . محل لحوم الجياد. باتريس وعائلته . الرجل الاخرس . الجدة .

الفصل الاول : ٢ ـ محادثة ومفارقات . جرنييه . السينما .

الفصل الثاني : ٢ ـ مرض باتريس . الطبيب « ووخزة الالـــم الطاغية .... » .

الفصل الاول : ٣ ـ جولة لمدة شهر مع الفرقة المسرحية .

الفصل الثاني : ٣ ـ وظائف مختلفة (بائع بالعمولة ، قطع غيار السيارات ، وإلى المنطقة) .

الفصل الاول : ٤ ـ قصة الغرام العظيم: « الم تشعر بذلك ثانية ابدا ؟ » « بلى يا سيدتي ، معك » . موضوع المسدس .

الفصل الثاني : ٤ ـ موت الام .

الفصل الاول : ٥ ـ مقابلة ريموند .

او بالتبادل مع هذه الموضوعات :

الفصل الاول : ١ ـ الغيرة الجنسية .

٢ ـ الحي الفقير ـ الام .

الفصل الثاني : ١ ـ المنزل امام الدنيا ـ النجوم .

٢ ـ الاشباع من الحياة .

الفصل الثالث : الهروب ـ كاترين التي لا يحبها .

اختصر وركز . قصة الغيرة الجنسية .

اختصر وركز . قصة الغيرة الجنسية التي تؤدي الى شعـــور بالمنفى . العودة الى الحياة .

اغسطس

ظاهرة عدم وجود. فلاسفة اسبان .

رواية : الرجل الذي يتحقق من لزوم الثراء للمرء حتى يعيش ، والذي يكرس نفسه كلية للحصول على المال ، وينجح في ذلك ، ويعيش ويموت « سعيدا » .

الثلاثاء ٩ سبتمبر

اسعيد انا ام غير سعيد ؟ انه ليس سؤالا هاما ، ما دمت اعيش بهذا التكثيف الجنوني .

الاشياء والناس في انتظاري ، وانا انتظرهم ايضا دون ادنى شك وارغب فيهم بكل ما في من قوة وحزن . ولكنني ـ هنا ـ اكتسب حقي في الحياة عن طريق الصمت والسرية .

اعجوبة عدم الاضطرار الى الحديث عن النفس!!

سبتمبر

في بلدة « فيصول » :

اننا نعيش حياة صعبة ، فنحن لانستطيع دائما ان نطابق بين افعالنا وبين الرؤية التي نؤمن بها عن الدنيا . (وحين اظن انني قد امسكت بلمحة عن اللون الذي سيكون عليه مصيري ، تخفت هذه اللمحة وتختفي بعيدا عن ناظري .) نحن نكافح ونقاسي لنعيد غزو عزلتنا . ولكن سياتي يوم تعود للارض ابتسامتها البسيطة البدائية ، وحينئذ تبدو الصراعات والحياة التي تكمن فينا كانما قد محيت تماما . لقد شاهدت ملايين الاعين هذا المنظر الطبيعي من قبل ، وبالنسبة لي ، فهو يشبه الابتسامة الاولى للدنيا . انه يخرجني عن ذاتي ، باعمق ما يحمل هذا التعبير من معنى . انه يؤكد لي انه لا شيء يهم سوى الحب الذي احمله ، وحتـى هذا الحب لا قيمة له بالنسبة لي الا اذا ظل طاهرا وحرا . انه ينكر علي شخصيتي ، ويحرم معاناتي من اصدائها . الدنيا جميلة ، وهذا هو كل شيء ، والحقيقة العظمى التي تعلمني اياها في اناة وصبر هي انـه لا العقل ، ولا حتى القلب ، لهما اية اهمية . وعلى ذلك فان الحجـر الذي تدفئه الشمس او شجرة السرو التي تقوم منتفخة امام السمـاء الخالية ، هما ما يقيمان حدا للدنيا الوحيدة التي يحمل فيهـــا العمل الصائب اي معنى . الطبيعة دون الانسان . مثل هذه الدنيا تصيرنـي الى لا شيء . انها تحلني الى النهاية الحقيقية ، ودون سخط ، تنكر علي وجودي . وحين اذعن لهزيمتي ، اكـون قـد نحيت ناحية حكمـــة اخضعت فيها جميع الاشياء ، غير ان الدموع تترى في عيني ، ونشيج الشعر العظيم يجعلني انسى حقيقة الدنيا .

١٣ سبتمبر

عبير اشجار الغار التي تصادفها عند كل منعطف طريق فـــي « فيصول » .

١٥ سبتمبر

في دير « سان فرانسسكو » في بلدة « فيصول » فناء صغير له

رواق على كل جانب ، وتفمره الشمس ، والزهور الحمراء ، والنحل الأصفر والاسود ، ونبع ماء اخضر في احد الجوانب . وفي كل مكان تسمع طنين النحل . ويبدو كما لو ان بخارا خفيفا يصاعد من الحديقة التي تتقلى تحت قيظ الشمس . وحين جلست على الارض ، اخذت افكر في القسس الفرنسسكان الذين زرت حجراتهم منذ قليل ، والذين اتطلع الان الى مصادر الهاماتهم ، واشعر بوضوح انهم لو كانوا على حق، فان ذلك يكون بنفس الطريقة التي انا بها على حق. اعلم انه وراء الجدار الذي استند اليه ، هناك تل يمتد على طول الطريق الى المدينة ، وحدائق فلورنسه كلها بكل ما فيها من اشجار سرو . غير ان هذا البهاء الذي يملأ الدنيا يبدو فيه وحده ما يكفي من تبرير لهؤلاء الرجال ، وانني اضع كل كبريائي في ايماني بأن فيه كذلك ما يبررني وجميع ابناء جنسي ، الذين يدركون ان هناك نقطة قصوى يلتقي فيها الفقر مع ثراء وبهاء الدنيا . فان هم نبذوا كل شيء جانبا ، يكون ذلك من اجل حياة اكثر عظمة وليس لمجرد حياة اخرى . وهذا هو المعنى الوحيد الذي يمكن ان اقبل من خلاله تعابير مثل « تجرد النفس عارية » . وعرى المرء له صلة دائما بالحرية البدنية ، بالتناسق بين اليد وبين الزهور التي تلمسها ، بالتفاهم الودود بين الارض وبين الانسان الذي اصبح حرا من الاحتياجات البشرية . آه ... لو لم يكن هذا هو ديني لكنت قد تحولت اليه .

اليوم اشعر بالحرية تجاه ما مضى من حياتي ، وتجاه ما فقدت . كل ما اريده هو هذا الانضغاط وهذا الفضاء المغلق ، هذه الحمية الهادئة المتأنية . اريد ببساطة ان اضم حياتي بين يدي مثل اللقمة الدافئة التي يجبلها المرء ويضغطها ، كهؤلاء الرجال الذين عرفوا كيف يضمون حياتهم بين هذه الزهور وهذه الاعمدة . ويصدق مثل هذا القول كذلك على الليالي الطويلة التي يقضيها المرء في القطارات ، حيث بمكنه الحديث مع نفسه ، وان يعد نفسه للحياة ويشعر بالاصطبار العجيب في قبول الافكار من جديد ، ويوقفها ابان تحليقها ثم يدعها طليقة مرة اخرى ، وحيث يلمق المرء حياته مثل قطعة الحلوى ، ويشكلها، ويشذبها ، واخيرا ... يقع في حبها ، بنفس الطريقة التي يبحث بها عن الكلمة ، عن الصورة ، عن جملة قاطعة ، عن كلمة او صورة تحدد نهاية او تحدد خاتمة يستطيع المرء ان يبدأ منها مرة ثانية ، الكلمة او الصورة التي تحدد نظرتنا تجاه الدنيا . ان بامكاني أن اتوقف الان في سهولة ، وابلغ بذلك اخيرا نهاية عام من الحياة المنطلقة المضنية . ان مجهودي الان يتركز في نقل وجودي الذاتي الى نفسي الداخلية الى اقصى مدى ، والاستمرار في ذلك مهما كان المظهر الذي تتخذه حياتي ، ولو كان الثمن هو الوحدة التي اعرف الان مدى قسوة معاناتها . عدم اليأس على الاطلاق ... هذا هو سر كل شيء . عدم الاستسلام ، عدم الخيانة ، وجماع ذلك الشطر العنيف من شخصيتي يساعدني على ذلك، ويحملني الى الحد الذي يتحد معي حبي وتلك العاطفة الجامحة التي اشعر بها تجاه الحياة ، والتي تضفي المعنى على ايامي .

في كل مرة يستسلم فيها المرء (او انا شخصيا) للغرور ، في كل مرة يفكر او يعيش بطريقة تحمل معنى الزهو بالنفس : هذه هي الخيانة التي اعنيها . وفي كل مرة ، كانت الكارثة الكبرى التي تدفعني الى الزهو بنفسي هي ما يصغر من شأني تجاه الحقيقة . لسنا نحن بحاجة الى الكشف عن انفسنا للاخرين ، بل لمن نحب فقط ، ففي هذه الحالة لا نكشف عن انفسنا من اجل المظاهر ولكن من اجل ان نعطي . والرجل الاكثر قوة هو الذي لا يكشف عن نفسه الا في الاوقات الضرورية فقط . وقد عانيت كثيرا من وحدتي ، ولكني كنت قادرا على الاحتفاظ بأسراري ولهذا تغلبت على آلام الوحدة . والاستمرار في الامر الى النهاية يعني امكان المرء الاحتفاظ بأسراره .

واليوم ، لا مسرة هناك اعظم من العيش وحيدا مجهولا . مسرتي العميقة أن اكتب ، ان اقبل الدنيا واقبل المسرة ، ولكن ذلك لا يكون الا حين اجرد نفسي عاريا من كل شيء . لن اكون جديرا بأن احب الشطآن العارية الخالية ان انا لم استطع ان ابقى عاريا في حضرة نفسي . ولاول مرة اتمكن من فهم معنى كلمة السعادة دون اي شائبة من الابهام . وهي مختلفة بعض الشيء عما يعنيه الانسان عادة حين يقول : « انا سعيد » .

وتنبثق المسرة في النهاية من اصرار معين يكمن في اليأس . ونفس الرجال الذين يعيشون في دير « سان فرانسسكو » الى جانب تلك الزهور الحمراء يحتفظون في غرفهم بجماجم آدمية لتغذي من تأملاتهم ، وهم يتطلعون الى « فلورنسة » من نوافذهم والى الموت على المنضدة امامهم . وانا ان شعرت الان بأنني على ابواب نقطة تحول في حياتي ، فان ذلك لا يرجع الى ما كسبته ، بل يرجع الى ما فقدته . انني اشعر في داخلي بقوة عميقة حادة هي ما ستمكنني من العيش كما انتوي . وان كنت اليوم اشعر بالبعد عن كل شيء ، فذلك لانني لا امتلك من القوى الا ما هو موجه الى الحب والاعجاب . وبينما انا اربت في تدليل على الحياة بوجهها المدمع المشمس ، الحياة بين البحر المالح والاحجار الدافئة ، الحياة كما احبها وافهمها : اشعر بحبي ويأسي ينسجان خيوط القوة في داخل نفسي . اليوم ليس مكانا للراحة بين الايجاب والنفي ، بين « نعم » « وكلا » ، بل انه كلاهما معا . انه « كلا » ، والتمرد ضد كل ما هو ليس مركبا من الدموع ونور الشمس ، وهو « نعم » ، لحياتي التي اشعر ببشائر مستقبلها في نفسي لاول مرة ، واشعر ان عاما من الحدة الحارقة يؤذن بالنهاية . انني لست واثقا من المستقبل ، غير انني حققت تحررا تاما تجاه ماضي وتجاه نفسي . هنا يكمن عوزي ، وثرائي الوحيد . انه كما لو انني ابدأ اللعبة من جديد مرة اخرى ، لست اكثر او اقل سعادة عما قبل ، ولكني الان مسلح بموطن القوة في ، ومزدر لغروري الشخصي ، ومفعم بهذه الحمية الهادئة التي تدفعني الى التقدم اماما تجاه مصيري .

القاهرة

ترجمة : ماهر البطوطي

صدر حديثا

ديوان

اللهب الثائر

للشاعر بشير قبطي

مجموعة قصائد قومية وانسانية وغزلية

يطلب من كافة المكتبات في الوطن العربي